

برنامج الفقر الريفي والبيئة



التعلم في الموقع الميداني إيسانج باجسك يساعد الأفراد على تخطيط مستقبلهم

ويني داغلي

ورشة عمل تمهيدية في
ناترانج، فيتنام في فبراير
٢٠٠٣.

إنه شكل جديد للتعلم من الأنداد، تم تحضيره بالتعاون بين الباحثين والعاملين بالتنمية في إفريقيا وآسيا، بالاستعانة باجتماعات بين الأفراد وجهاً لوجه، والممارسة الميدانية، وروابط الإنترنت التي توفر إمكانية تعلم الأفراد - من أحدهم الآخر، لمناهج المشاركة في البحث العلمي في حقل إدارة الموارد الطبيعية.

في العادة كان تخطيط التنمية الريفية في الدول الفقيرة يتم من أعلى لأسفل، في ظل وجود خبراء أجانب يأتون بخبراتهم الواسعة وحلولهم التقنية الناجعة. لكن قلما أعار هذا المدخل التفاتاً لاحتياجات الأفراد المعنيين بالمساعدة.

وطبقاً لما ذكرته "ماريا سيلبيست كاديز" من جامعة "لوس بانينوس" بالفلبين، فإن معظم مشروعات إدارة الموارد الطبيعية فشلت في التشاور مع أعضاء المجتمع حتى نقطة التنفيذ، وعانى الكثير من الباحثين المتخصصين - من المشاركين في المشروعات - من نقص الكفاءات اللازمة للتواصل مع الريفيين من ذوي المستوى التعليمي المنخفض.

يمزج برنامج "إيسانج باجسك" بين المقابلات بين الأفراد وجهاً لوجه، والتدريب الميداني، والتعلم عن بعد.

وطبقاً لما ذكره "جي بيسيت" أحد الأفراد المحوريين لدى "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا" ببرنامج "إيسانج باجسك"، فإن أحد أول التحديات

كان إيجاد طريقة لتعريف الأفراد بـ "الاتصال التنموي بالمشاركة"، إذ قال: "كنا بحاجة لوضع أيدينا على شيء يوفر فرصة للناس للتأمل في خبراتهم الشخصية، ومحاولة كسب المهارات والمعرفة، بالإضافة إلى توافر الفرصة للنقاش، وهو ما يعني التزام طويل الأجل". وأضاف: "كنا نعرف أن الأفراد لن ينفقوا عاماً من حياتهم للاشتراك في برنامج تدريبي جامعي، فالجميع مشغولون في أعمالهم ومشروعاتهم".

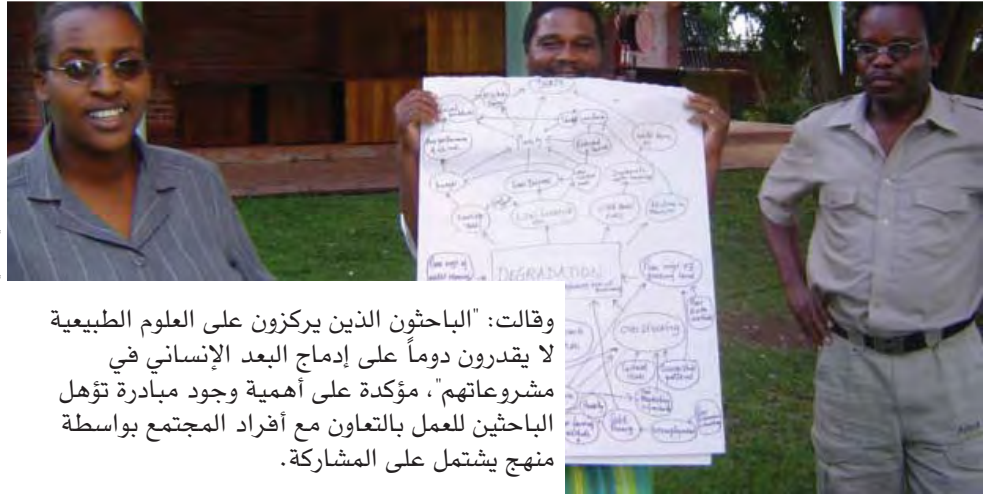
ولتسهيل الأمر على الباحثين المشغولين وعلى العاملين بالتنمية، يمزج برنامج "إيسانج باجسك" بين المقابلات بين الأفراد وجهاً لوجه، والتدريب الميداني، والتعلم عن بعد. ويستند البرنامج إلى نظرية أن الناس قادرين على التعلم، ليس فقط من الخبراء، بل أيضاً من خبراتهم الخاصة، وبصفة خاصة من المشاركة بين بعضهم البعض في تلك الخبرات بشكل (أفقي)، بين أحدهم والآخر كأنداد.

التجربة الأولى: التعلم الإلكتروني العابر للمقارنات

تم اختبار منهج "إيسانج باجسك" في تجربة خضعت لدعم "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا" خلال عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٢. وشاركت في التجربة ثلاث فرق بحثية نشطة من آسيا وإفريقيا: من البرنامج البحثي القومي في زراعة الموز بأوغندا، ومن جامعة "هيو" الزراعية الفيتنامية، ومن المشروع البحثي الخاص بإدارة الموارد الطبيعية براتاناكيري في كمبوديا.

وكان الاختبار مكوناً من سلسلة من "محاور التعلم"، وكل منها تمثل خطوة من خطوات عملية "الاتصال التنموي بالمشاركة". على سبيل المثال، إجراء الاتصال المبدئي بمجتمع محلي ما، مع إشراك هذا المجتمع بواسطة التعرف على مشكلات إدارة موارده الطبيعية، وإعداد خطة اتصال، ثم إعلان النتائج، الخ.

وبدأت المرحلة الأولى بورشة عمل اشترك فيها الأفراد وجهاً لوجه، وكانت مصممة لتسهيل إدراك كل من الفرق المشاركة لعملية "الاتصال التنموي بالمشاركة"، وتوفير الفرصة لهم لمناقشة البرنامج. ثم انتقل بعدها كل فريق إلى المحور الثاني، وهو الاتصال بالمجتمع.



وقالت: "الباحثون الذين يركزون على العلوم الطبيعية لا يقدرّون دوماً على إدماج البعد الإنساني في مشروعاتهم"، مؤكدة على أهمية وجود مبادرة تؤهل الباحثين للعمل بالتعاون مع أفراد المجتمع بواسطة منهج يشتمل على المشاركة.

المشاركة على مستوى القاعدة

ثمة شكل جديد للحوار الآن يسمى "الاتصال التنموي بالمشاركة" (PDC) الذي يرمي إلى ربط المجتمعات المحلية بعملية تخطيط مستقبلها. وتحت المظلة العريضة لـ "الاتصال التنموي بالمشاركة"، يتعرف الأفراد إلى مشكلاتهم، ويحددون أسبابها، ويبحثون عن الحلول بواسطة البحث العلمي، والتعاون، والتبادل.

وهناك برنامج "الاتصال التنموي بالمشاركة" ناجح على نحو خاص، وتم تحضيره بالتعاون بين "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا" وفرق بحثية من أوغندا، وكمبوديا، وفيتنام، ثم تم تكييفه بعدها للاستخدام العام في شرق إفريقيا وإفريقيا الجنوبية، ومنطقة الساحل الإفريقية. ويسمى هذا البرنامج "إيسانج باجسك"، وهو اصطلاح قلبيني يعني "بلوغ الإجماع".

ويستعين برنامج "إيسانج باجسك" بخليط من الأنشطة التي تتم بالتفاعل بين الأفراد وجهاً لوجه، والتعلم عن بعد، والتقنيات المستندة إلى الإنترنت. ويقدم إطار عمل بديل لأي مجتمع ريفي يريد تولي زمام مصيره، في أي مكان في العالم.

التعليم الأفقي

بدأ برنامج "إيسانج باجسك" في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٠، في اجتماع بالصين لشركاء "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا" من الباحثين في مجال إدارة الموارد البشرية في المجتمعات المحلية. واشتكى مشاركون كثيرون في الاجتماع من حاجتهم الماسة إلى التواصل مع المحليين، وصناع السياسات، وغيرهم من الجهات المعنية، بصورة أفضل حتى يتمكنوا من إتمام عملهم بمزيد من الفعالية. ومن هذه الشكوى انبثقت الفكرة الأساسية لبرنامج "إيسانج باجسك".

ورشة عمل تمهيدية في زيمبابوي.

أدركوا أن المشاركة الكاملة في البرنامج تقتضي زيادة حجم العمل.



العمل مع المجتمع الريفي

كما ساعد البرنامج على إعداد وبناء الفرق القومية. على سبيل المثال، فإن بعض الفرق تشكلت من ٦٠ شخصاً من مشروعات مختلفة يعملون على موضوعات متباينة. وكان "إيسانج باجسك" هو من جمعهم معاً وساعدهم على التعرض للهدف المشترك بالبحث والنقاش.

الإلهام والمسئولية والاستجابة المباشرة

كشف تقييم البرنامج عن نجاح "إيسانج باجسك"، في أحد أجزائه لأن أعضاء الفريق ألهمهم التعلم من منهج جديد وتجربته. إذ أدركوا أن المشاركة الكاملة في البرنامج تقتضي زيادة حجم العمل، وهو ما قبلوا به لأنهم أدركوا أيضاً أنهم في نفس الوقت يطورون مهارات لصيقة بعملهم.

كما كشف التقييم عن أن تخصيص مسؤوليات محددة للأفراد يضمن إنجاز الأعمال ودوام تدفق المشروع بقوة. على سبيل المثال فقد حمل شخصاً واحداً من كل فريق مسؤولية تنزيل وطباعة المعلومات من المنتدى الإلكتروني وتوزيع نسخ منها، فيما تولى آخرون مسؤولية ترتيب اجتماعات الفريق، ثم إرسال وقائع الاجتماعات إلى المنتدى الإلكتروني. ولمساعدة الأفراد والفرق على تنفيذ هذه المهام، تم إعداد أجندة بالواجبات تدمج كل تلك الأنشطة في خطة عمل واحدة.

اجتماع استكشافي مع مجتمعات السكان الأصليين في ميندورو الفلبين.



العمل مع المجتمع الريفي

وفي كل من المحاور، سئل أعضاء الفرق البحثية أن يشاركوا بخبراتهم المستخلصة من العمل الميداني، بالتركيز على التحديات والنجاحات. ثم أعد كل فريق سجلاً بمناقشاته وتم إرساله إلى الفريقين الآخرين من خلال منتدى إلكتروني. وأثناء الجولة الثانية من ورشة العمل علق الجميع على خبرات المشاركين الآخرين. وعلى أساس تبادل الخبرات هذا تمكن مسئولو ورشة العمل من إدراج موضوعات إضافية ذات صلة بجدول الأعمال.

وأخيراً وضع المسئولون قائمة بكل المناقشات، وأعدوا ملخصاً بذلك المحور على المنتدى الإلكتروني، ثم انتقلوا إلى الخطوة التالية. وكانت دورة تبادل الخبرات لكل محور تستغرق حوالي الخمسة أسابيع.

وبالإضافة إلى المنتدى الإلكتروني، تضمن البرنامج اجتماعات بين الأفراد وجهاً لوجه وتمارين ميدانية.

النتائج العملية: اتصال أفضل

قرّبت ورش عمل التقييم بين الأفراد، سواء داخل الفريق نفسه أو بين أكثر من فريق، ووفرت لهم فرصة تبادل الآراء بشأن كيفية تأثير برنامج "إيسانج باجسك" على مشروعاتهم.

وطبقاً لرأي أعضاء الفريق الأوغندي، فإن برنامج "إيسانج باجسك" قد مكّنهم من إعداد إستراتيجية اتصال أفضل مع مزارعي الموز، كما حسن من إمكانية تنفيذ الإستراتيجية. ونتاجاً لهذا أصبح المزارعون أكثر حماساً وتجاوباً، بالمقارنة مع استجاباتهم لأية مبادرة أخرى نفذها الباحثون.

وفي سياق مشابه ساعد برنامج "إيسانج باجسك" الفريق الكمبودي على تفعيل آلية الاتصال في المشروع بأكمله، وفي إشراك المحليين في الأنشطة التنموية. كما بات الأعضاء أكثر ثقة في عملهم كمجموعة، وفي فهم وتطبيق فكرة "الاتصال التنموي بالمشاركة".

كما ساعد برنامج "إيسانج باجسك" الفريق الفيتنامي على إدراج إستراتيجيات وأدوات اتصال خاصة بمشروعه. وتضمنت الاجتماعات بين المزارعين، والنقاش بشأن الموضوعات والأمور الهامة، والنشرات التقنية، وتسجيلات الفيديو والملصقات، وورش العمل، وفرص التدريب، وتجارب وعروض في مواقع العمل.

فقد كان من الضروري
الاستعانة باللغة
الإنجليزية كلغة مشتركة،
على الأقل أثناء المرحلة
الأولى.

وفي مواقف مثل هذا تعلم
جميع المشاركين في
"إيسانج باجسك" التحلي
بالصبر والتكيف مع الموقف،
باعتبارهما من العناصر
الأساسية لنجاح العملية
ككل. وفي تلك الحالة تم إيقاف المنتدى لأسابيع قليلة
حتى تمكن الفريق الكمبودي من المشاركة مجدداً.

وهناك مشكلة أعم هي حاجز اللغة. فعلى الرغم من
عقد برنامج تدريبي باللغات المحلية كان يسمح بمشاركة
عدد أكبر من الأشخاص، فقد كان من الضروري
الاستعانة باللغة الإنجليزية كلغة مشتركة، على الأقل
أثناء المرحلة الأولى. وهكذا أحس بعض المشاركين
- وبصفة خاصة أعضاء الفرق الآسيوية - بالنقص
في المهارات اللغوية.

الشراكة الجنوبية - الجنوبية

على الرغم من الإحباط المنبعث من حاجز اللغة،
فإن الحماس والإثارة التي يشعر بها المشاركون
من آسيا وإفريقيا والتي مبعثها تبادل الآراء كانت
طاقة هائلة وديناميكية، خاصة مع اعتياد المشاركين
على العمل مع أفراد من قارتهم فقط.

كما أعزى "بيسيت" النجاح إلى المتابعة المستديرة
والتقييم الدائم للمشروع. فالتقييم المستمر يمكن الفرق
من التكيف مع التقدم في البرنامج وتغيير الأمور.
وساعدت التقارير الموضوعية عن الاجتماعات المنعقدة
أثناء التدريب - وليس مع ختامه فقط - في تنشيط
استجابات المشاركين. وأشار الجميع إلى أن المرونة
جوهرية لضمان الالتزام ببرنامج "إيسانج باجسك".

التحديات: إنترنت بطيء وفيضانات وحواجز لغوية

أحد المعوقات للتواصل بين الفرق هو تباين قدرة
كل فريق على الولوج إلى الإنترنت. ففي كمبوديا
على سبيل المثال لم يتمكن فريق "راتاناكيري"
من الولوج إلى المنتدى الإلكتروني على الإنترنت
بشكل مباشر لأن الولوج على الإنترنت باهظ
التكلفة وسرعة الإنترنت ليست عالية. ولهذا اعتمد
الفريق على خدمة البريد الإلكتروني الأقل تعقيداً.

وفي النهاية تم تسجيل كافة الرسائل على شكل أرشيف
على الإنترنت، وتم توفير قاعدة بيانات دائمة ثرية
تشتمل على الخبرات، ليستفيد منها الباحثون وغيرهم.

وثمة تحدٍّ آخر في كمبوديا أيضاً، واجه البرنامج، حين
حال فيضان كبير دون عقد اللقاءات بين أعضاء الفريق،
وكذا منع إرسال الأعضاء لأفكارهم.



ويسي داغساك

جي بيسيت ومجموعة
من طلاب كلية الاتصال
التموي أثناء جلسة حول
Isang Bagsak.



تبادل الأفكار في إحدى
ورش العمل التمهيدية في
بنوم بنه، كامبوديا.



أعضاء مؤسسة البيئة
الفلبينية أثناء مناقشات
إحدى مجموعات التعلم
في ورشة عمل تمهيدية.

٢٠١٤

كما بدأت نسخة أخرى من برنامج "إيسانج باجسك" في منطقة الساحل الإفريقية (الشرط الواقع إلى جنوب الصحراء الكبرى بعرض القارة) لصالح شبكة عمل الزراعة بالغابات agroforestry في السنغال وبوركينا فاسو ومالي. ويدير هذا النشاط برنامج الساحل التابع للمركز الدولي لأبحاث الزراعة بالغابات.

وقالت "كاديز" في هذا الشأن: "التبادل الجنوبي الجنوبي عامل مهم للغاية في برنامج إيسانج باجسك، فهو يوسع آفاقنا بشأن التحديات التي تواجهها منطقة جنوب شرق آسيا وشرق إفريقيا وإفريقيا الجنوبية".

كما أعرب "بيسيت" عن دهشته من تعلم أشخاص من مناطق مختلفة من أحدهم الآخر، وقال: "أصيب كثير من المشاركين بالدهشة لإدراكهم ما لديهم من عناصر كثيرة قابلة للمشاركة، ومن المهارات والخبرات التي تشربوها، ولم يسبق لهم تأملها من قبل".

وأضاف: "ثم حين قارنوا خبراتهم بما يفعله الأفراد في دول أخرى، غشاهم الحماس، وبلغوا آفاقاً جديدة في مجالات عملهم".

المرحلة التالية: التنفيذ على المستوى الإقليمي

بعدما أقر المشاركون بنجاح المشروع الأولي، أصبح شركاء "مركز البحوث للتنمية الدولية- كندا"، حريصين على استكمال تنفيذ برنامج "إيسانج باجسك"، لكن على المستوى الإقليمي. إذ لم يكتفوا بفهم السياق المحلي لكل تجربة فحسب، بل رغبوا أيضاً في توسيع التجربة ككل بحيث تتمكن المؤسسات الإقليمية من تنفيذ البرنامج.

وهكذا فإن كلية الاتصال التنموي في جامعة "لوس بانيوس" بالفلبين تطوعت لتنسيق برنامج "إيسانج باجسك" في جنوب شرق آسيا، وتولت "كاديز" مسؤولية المنسق خلال الفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٥، والفرق المشاركة كانت من الفلبين وكمبوديا وفيتنام.

وفي منطقتي شرق إفريقيا وإفريقيا الجنوبية، يجري الآن تنسيق برنامج "إيسانج باجسك" من جانب مركز تنمية المجتمع للاتصال الخاص بالتنمية بإفريقيا الجنوبية (CCD-SADC)، بمشاركة فرق من مالاوي وزيمبابوي وأوغندا.

وثمة نتيجة أخرى للتطبيق الإقليمي الجديد، وهي أن المشاركين قد يرغبون في إجراء البرنامج بلغاتهم المحلية بدلاً من اللغة الإنجليزية.

وثمة نتيجة رائعة لمنهج "إيسانج باجسك"، على ضوء جوهر فكرة الشراكة الجنوبية - الجنوبية، وهي تطور المتعلمين من المرحلة الأولية لمعلمين في المرحلة الحالية. على سبيل المثال فإن المشاركين الأوغانديين في المشروع الأول صاروا المنظمين الأساسيين لبرنامج "إيسانج باجسك" في شرق إفريقيا وإفريقيا الجنوبية، ومركز عملهم هو "مركز تنمية المجتمع للاتصال الخاص بالتنمية بإفريقيا الجنوبية" (SADC).

وثمة نتيجة أخرى للتطبيق الإقليمي الجديد، وهي أن المشاركين قد يرغبون في إجراء البرنامج بلغاتهم المحلية بدلاً من اللغة الإنجليزية، مما يعني تمكن عدد أكبر من الأفراد المحليين من المشاركة. وعلى الجانب الآخر، فهذا يعني أيضاً أن هؤلاء المشاركين سيفقدون جوهر منهج "إيسانج باجسك"، وهو التعلم من خبرات الآخرين ممن عملوا في سياقات مختلفة تماماً.

هل تم بلوغ الإجماع؟

من الناحية الشكلية فإن تقييم "إيسانج باجسك" يعتبر تحد هائل. فهل يتعين مثلاً إعلان "نجاح" التجربة، على سبيل المثال، مع تزايد عدد من تعلموا تقنية "الاتصال التنموي بالمشاركة"؟ أم حين يتم رفع الأفراد من تحت خط الفقر نتيجة لتطبيق التجربة؟

لكن ليس العلماء فقط هم من تغيرت مناهجهم في التفكير، فقد ذكر "جونس" حوار خاضه مع رئيس قرية في مالايو، وأشار إلى أنه قال له: "لقد كشفتم لنا عن قدرتنا على تغيير موقفنا بأنفسنا وبما نملك داخلنا".

لمزيد من المعلومات، انظر موقع:
www.allincbnrm.org

أعد هذا الموجز باتريك كافاناغ على أساس دراسة حالة من إعداد "بليث ماكاي"، وحي بيست.

لماذا "إيسانج باجسك"؟

الترجمة الحرفية لهذا المصطلح الفلبيني هي "واحد لأسفل"، لكنها تعني في سياقها العام "بلوغ الإجماع". وهو أسلوب يستخدم أثناء النقاش لإعلان الوصول لاتفاق بين أطراف النقاش. ويأتي دوماً مصحوباً بضربة قوية من راحة اليد على سطح المائدة حيث يعبر نزول اليد إلى سطح المائدة عن الإجماع على قرار تؤيده أيدي المشاركين.

وفي الاجتماع الذي اقيم في الصين حين نشأ برنامج "إيسانج باجسك"، كان أحد المشاركين فلبيني الجنسية يستعمل هذا الأسلوب كثيراً. وحين تم بلوغ قرار بالبدء في المشروع الأولي بالاستعانة بمنهج "الاتصال التتوي بالمشراكة"، كان الاسم الذي تم منحه للبرنامج الجديد هو.. "إيسانج باجسك".

مبادرة "برنامج الفقر الريفي والبيئة" برنامج عالمي أطلقه مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا في عام ٢٠٠٥ لدعم البحوث التي تلبي احتياجات القرويين الفقراء الذين يعيشون في البيئات الضعيفة أو المتدهورة في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية ودول الكاريبي والشرق الأوسط. وتهدف هذه المبادرة إلى تعزيز المؤسسات والسياسات والممارسات التي تعزز الأمن الغذائي والمائي ودخل الأفراد.

ولمزيد من المعلومات انظر موقع:
www.idrc.ca/rpe

مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا هو إحدى المؤسسات الدولية الرائدة في إنتاج وتطبيق المعرفة الجديدة بغرض الارتقاء إلى مستوى التحديات الحالية للتنمية الدولية. ولقد عمل المركز عن كثب ولأكثر من ٣٥ عاما مع الباحثين من الدول النامية في سعيهم للوصول إلى الوسائل التي تؤدي إلى بناء مجتمعات أفضل صحة وأكثر عدالة وازدهارا.

مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا

برنامج الفقر الريفي والبيئة

P.O.Box. 8500

Ottawa, Ontario, Canada, K1G 3H9

هاتف: ٦١٣-٢٣٦-٦١٦٢

فاكس: ٦١٣-٥٦٧-٧٧٤٩

بريد إلكتروني: rpe@idrc.ca



الاجتماع

على الرغم من الاختلاف حول أسلوب التقييم، فإن شبكة "إيسانج باجسك" وخلال فترة زمنية وجيزة قد كبرت لتتحول إلى مسعى معرفي ديناميكي تحركه فرق كثيرة من الباحثين والممارسين للعمل التتوي، بطول وعرض قارتين، وجميعهم يتعلمون الاتصال والعمل بمزيد من الفعالية بالتعاون مع المجتمعات المحلية التي تجاهد سعياً لحل مشكلات إدارة الموارد الطبيعية.

والآن يمكن للمشاركين عقد البرنامج بلغتهم المحلية.

وجاء الاختلاف في منهج التفكير جذرياً عميقاً، إذ يقول "جونس كاومبا" أحد أعضاء فريق "إيسانج باجسك" لشرق إفريقيا وإفريقيا الجنوبية: "أصبح من غير المستغرب الآن أن نسمع عالماً يؤكد على الاحتياج إلى مشاركة المجتمعات المحلية الكاملة في تخطيط وتنفيذ مشروع ما"، مشيراً إلى أن هذا نقىض رأي العلماء في الاتصال قبل المشاركة في هذا البرنامج.